مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v2i1.210

نشاط كتابة الحديث عند التابعين في البصرة " دراسة تحليلية "

الباحث:

الدكتور راما نبيل أبو طربوش، الأستاذ المحاضر بجامعة بولو أبانت عزت بيسل، تركيا.

البريد الالكتروني: rama.nabeel_٩٢@yahoo.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (٢٩ ربيع الثانى ١٤٤٧)

تاريخ الإصلاح: (١٣ جمادى الاولى ١٤٤٧)

تاريخ القبول: (٢٠ جمادى الأولى ١٤٤٧)

تاريخ النشر: (٢٩ جمادى الآخرة ١٤٤٧)

الملخص: تدرس هذه الورقة نشاط التابعين في البصرة في كتابة الحديث، ومعرفة طبيعة الكتابة في تلك الفترة، مقارنة بين طبقات التابعين فيها، وصولاً إلى حجم الاعتماد على الكتابة في مدينة البصرة في تلك الفترة، وتأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية فكرة الرواية المكتوبة وتحديد زمن بدءها وانتشارها، ثمّ مدى قوّتها وتأثيرها على الرواية ضبطاً وإتقاناً، وتتمثّل إشكاليّة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل كانت الرواية الكتابية عند تابعي البصرة منتشرة بشكل كبير؟ أم أنّ هناك اختلاف في ذلك؟ وما أسباب هذا الاختلاف؟ وما طبيعة الكتابة في زمنهم؟ وعليه فإن البحث يهدف إلى فهم أسباب اختلاف تابعي البصرة حول الكتابة ومدى أثره في نشاط الكتابة في تلك المدينة، ومدى تأثّر التابعين في رأي إمامهم أنس بن مالك، منتهجة في ذلك المنهج الاستقرائي والتحليلي، وقد توصّل البحث لعدد من النتائج منها: أنّ نشاط الكتابة عند تابعي البصرة لم يكن بذاك النشاط خاصّة عند كبارهم، وأنّ هناك اختلاف واضح بين آراء التابعين في طبقاتهم جميعاً حول قضية الكتابة، وقد أثبتت الدراسة أنّ هذا الاختلاف بين التابعين يعود لآرائهم الشخصية بشكل أساس، وأنّ رأي أنس بن مالك على الرغم من أثره على بعض التابعين إلا أنّ النقاش كان ما زال قائماً حول الكتابة.

الكلمات المفتاحية: البصرة، التابعون، الحديث، كتابة الحديث، النشاط.

The Task of Hadith Writing Among the Successors of Basra: Analytical Study

ABSTRACT: This paper examines the activity of Hadith writing among the Successors (Tābiʿūn) of Basra, aiming to understand the nature of writing during that period and to compare the different generations of Successors in this regard. It seeks to determine the extent to which writing was relied upon in Basra at that time. The importance of this study stems from the significance of written transmission in Hadith scholarship, particularly in identifying when written narration began, how it spread, and the extent to which it ensured accuracy and precision in transmission. The research problem concerns answering the following question: Was written narration widely practiced among the Successors of Basra? Or was there variation in this practice? What were the reasons behind such variation? Furthermore, what was the nature of Hadith writing in their era? Accordingly, the study aims to understand the causes of differences among the Successors of Basra in Hadith writing, to assess the extent to which their leader, Anas ibn Mālik, influenced their activity in this field, and to analyze the overall writing movement in the city. The study employs both the inductive and analytical methods. The research concludes that Hadith writing among the Successors of Basra was not particularly active, especially among the senior ones. It also reveals an evident diversity of opinions across all their generations regarding writing. The study shows that this variation was primarily due to their personal viewpoints, and that although the opinion of Anas ibn Mālik had some influence on certain Successors, the debate over Hadith writing continued.

Keywords: Activity, Basra, Hadith, Hadith Writing, Tabi'un.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

إنّ دراسة موضوع كتابة الحديث من الموضوعات المهمة التي يجب الوقوف عليها والبحث فيها؛ فلا بدّ لنا من الوقوف عند تاريخ الكتابة ومتى بدأ انتشارها بين رواة الحديث، وقد حاول كثير من العلماء دراسة موضوع كتابة الحديث وتدوينه في القرون الأولى، إلّا أنّ تلك الدراسات جاءت على عمومها في إثبات الكتابة عند المحدّثين وأنّها كانت في زمن مبكّر، دون التدقيق في كلّ مدينة على حدة والنظر في قوّة اعتماد تابعيها على الكتابة، وعليه كانت هذه الدراسة محاولةً مني لتدقيق النظر في إحدى المدن الحديثية ودراسة مدى انتشار الرواية المكتوبة وطبيعتها في تلك الفترة، ومدى أثرها على قوّة وصحّة الرواية مقارنة بالرواية الشفوية.

أهمية البحث:

تأتي أهميّة الدراسة من أهميّة الرواية المكتوبة للأحاديث ومدى الاعتماد عليها في توثيق الأحاديث؛ لذا كانت أهميّة الدراسة في التركيز على بيان حجم اعتماد التابعين على الكتابة في حفظ الحديث وروايته ونشاطه عندهم بين طبقاتهم الثلاثة، ثمّ أثر ذلك في ضبطهم وحفظهم.

إشكاليّة البحث:

سيجيب هذا البحث عن الأسئلة الآتية:

١– هل كانت الرواية الكتابية في البصرة زمن التابعين منتشرة بشكل كبير؟

٢– هل هناك اختلاف في نشاط الكتابة بين طبقات التابعين في البصرة؟ وإن كان كذلك فما أسباب هذا الاختلاف؟ وما طبيعة الكتابة في تلك الفترة؟

٣– ما أثر رأي أنس بن مالك في الكتابة على تابعي البصرة؟

٤– هل كانت الرواية المكتوبة أوثق وأكثر من الشفوية عند تابعي البصرة؟

أهداف البحث:

١– تتبع كتابة الحديث في جميع طبقات تابعي البصرة.

٢– تحديد زمن نشاط الكتابة وانتشارها بين طبقات تابعي البصرة والمقارنة في ما بينها.

٣– بيان طبيعة الكتابة في تلك الفترة.

٤– مدى قوّة الرواية الكتابية مقارنة بالرواية الشفوية عند تابعي البصرة.

الدراسات السابقة:

إنّ الدراسات السابقة المتعلقة في تدوين و كتابة الحديث كثيرة ومشهورة، وأهمّ هذه الدراسات:

١– دراسة الدكتور محمد الأعظمي " دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه"، حيث فصّل في بابه الثالث حول قضيّة كتابة الحديث وقسّمه إلى فصول وذكر تحت هذه الفصول كلّ من كان يكتب الحديث في القرن الأول والثاني الهجري من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ليُبيّن مدى انتشار كتابة الحديث في هذه القرون.

٢– دراسة الدكتور محمد عجاج الخطيب " السنة قبل التدوين"، حيث بيّن أيضاً في دراسته بدايات حركة تدوين الحديث وأنّه بدأ منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم انتشر بعد ذلك في زمن الصحابة والتابعين كما أنّه حاول أن يبيّن الخلاف الحاصل بين الصحابة أو التابعين على كراهية كتابة الحديث، وكان رأيه أنّ سبب الاختلاف يعود إلى كراهية كتابة الرأي لا الحديث نفسه.

٣– دراسة محمد بن مطر الزهراني " تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره منذ القرن الأول حتى القرن التاسع"، حيث بيّن في دراسته جهود الصحابة والتابعين في كتابة الحديث .

٤– دراسة فؤاد سزكين " تاريخ التراث العربي"، وقد ركّز في بابه الثاني عند حديثه عن علم الحديث في تدوين الحديث والكتابات المبكّرة له.

وقد تنوّعت الدراسات والأبحاث العلمية التي تناولت مسألة كتابة الحديث وتدوينه، وقد اقتصرتُ في هذه الدراسة على أبرزها وأكثرها شيوعًا. وقد أثبتت تلك الدراسات أنّ الرواية المكتوبة كانت موجودة ومنتشرة في القرن الأوّل الهجري بوجه عام، رغم اختلاف البيئات الجغرافية وتنوّع طبقات الرواة من الصحابة والتابعين. وكان الهدف الرئيس لمعظم هذه الدراسات إثبات موثوقية السنة النبوية والردّ على من زعم أنّ كتابة الحديث لم تكن معروفة في زمن مبكّر، وبالتالي لا يمكن الوثوق بالأحاديث النبوية.

أما إضافة هذه الدراسة فتكمن في سعيها إلى التدقيق والتعمّق في دراسة تاريخ كتابة الحديث على وجه الخصوص لا العموم، من خلال التركيز على البعد الجغرافي والزماني، وصولًا إلى تحديد مدى التوافق بين ما توصلت إليه الدراسات السابقة في إطارها العام وما ستكشفه الدراسة في نطاقها المحدّد. وبهذا تهدف إلى بيان الحاجة إلى تخصيص البحث في كتابة الحديث بالزمان والمكان، وإظهار ما قد يطرأ من اختلافات بين المدن الحديثية في هذه المسألة.

وعليه فقد خُصِّص البحث لدراسة كتابة الحديث عند التابعين في مدينة البصرة، للكشف عن مدى قوّة ونشاط الرواية المكتوبة لديهم، وتحليل اختلاف مواقفهم من كتابة الحديث وأسباب هذا الاختلاف، مع توضيح طبيعة الكتابة عند البصريين ودرجاتها بين طبقات التابعين. كما تسعى الدراسة في ختامها إلى إبراز أثر هذا النشاط الكتابي في ضبط الرواية الحديثية عمومًا.

محددّات البحث:

تمّ تحديد البحث في فترة التابعين لأهميّة هذه الفترة وارتباطها القويّ بفكرة الكتابة، وفي مدينة البصرة لأسباب متعدّدة:

أوّلها: صعوبة دراسة جميع المدن فكان من الأحرى التعمّق في دراسة مدينة واحدة على أن تكون المدن الأخرى في دراسات لاحقة.

ثانيها: لأنّ مدينة البصرة وُجد فيها اختلاف واضح بين آراء التابعين حول قضية الكتابة فكان لا بدّ من معرفة هذا الاختلاف وأسبابه.

ثالثها: وجود الصحابي الجليل أنس بن مالك الذي كان رأيه بجواز كتابة الحديث والحثّ عليه، لمعرفة مدى أثره على تابعي البصرة.

منهج البحث:

أنتهج في هذا البحث المنهج الاستقرائي لتتبع تابعي البصرة الذين كتبوا وكذلك الذين لم يكتبوا في تلك الفترة، والمنهج التحليلي لتحليل أسباب اختلافاتهم وآرائهم حول الكتابة، ومعرفة مدى أثر أنس بن مالك عليهم وصولاً إلى حجم اعتماد التابعين في مدينة البصرة على الكتابة في الرواية الحديثية ومدى قوّتها وأثرها في توثيق الأحاديث، ثم الترجيح بين الرواية المكتوبة أو الشفوية في ذلك.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين رئيسين وخاتمة، فكان على النحو الآتي:

تمهيد: آراء صحابة البصرة في كتابة الحديث

المبحث الأول: معالم الكتابة عند تابعي البصرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثاني: اختلاف التابعين في كتابة الحديث، وأثر الكتابة على ضبط الرواية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: آراء صحابة البصرة في كتابة الحديث

من المعلوم أنّ مدينة البصرة نزلها عدد كبير من الصحابة، ومن أشهر من نزل البصرة: أبو موسى الأشعري ت٤١هـ، وعبد الرحمن بن سمرة ت٥٠هـ، وعمران بن حصين ت٥٢هـ، وأبو بكرة نفيع بن الحارث ت٥٢، وأبو برزة الأسلمي ت٦٠هـ، وأخيراً أنس بن مالك ت٩٠هـ.

إلّا أنّ الصحابة في مدينة البصرة لم تكن لهم روايات كثيرة كما هو الحال في المدينة النبويّة والكوفة، ويُعتبر كلّ من عمران بن حصين ت٥٢هـ وأبو بكرة نفيع بن الحارث ت٥٢هـ هم أكثر الصحابة راوية في البصرة، وقد كان يقول فيهم الحسن البصري: " لم يسكن

البصرة أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمران بْن حصين، وأبي بكرة"[١]، مع أنّ الناظر إلى مرويّاتهم يجد أنّها قليلة بالنسبة لغيرهم من الصحابة المكثرين في الرواية في المدن الأخرى[٢].

وأمّا أبو موسى الأشعري ت٤١هـ رغم شهرته وكثرته في الرواية، إلا أنّنا نجد أيضاً مرويّاته قليلة عند أهل البصرة رغم أنّه مكث فيها مدّة زمنية طويلة بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أرسله والياً عليها وذلك سنة ١٧هـ[٣] وقيل ٢٠هـ[٤] وبقي والياً عليها إلى صدر من خلافة عثمان بن عفان[٥]، ولعلّ ذلك لانشغاله بالفتوحات كفتحه لأهواز وأصبهان في تلك الفترة[٦].

وأشهر من نزلها بعد ذلك أنس بن مالك ت٩٠هـ، فقد كان من أكثر الصحابة نشاطاً في الرواية، فأخذ عنه كثير من التابعين.

والذي يهمّ في هذا المبحث هي آراء صحابة البصرة في قبول فكرة الكتابة، حيث لم نجد أقوالاً لهؤلاء الصحابة أو غيرهم ممّن لم يتمّ ذكرهم في ما يتعلّق في كتابة الحديث، كما أنّنا لم نقف على مواقف لهم أو آثاراً تشير إلى كتابتهم الحديث، سوى ما وجدناه عند أبي موسى الأشعري وأنس بن مالك.

وقد كان موقف أبي موسى يتناقض مع موقف أنس بن مالك؛ أمّا أبو موسى الأشعري فإنّه كان لا يرى كتابة الحديث، وكان يأمر بحفظ الحديث دون كتابته، يقول ابنه أبو بردة: "رَآنِي أَبِي أَكْتُبُ فَمَحَاهُ"[٧]، ونقل موقفاً آخر وهو يكتب الحديث مع غيره عن أبيه: "كَانَ أَبُو مُوسَى يُحَدِّثُنَا بِأَحَادِيثَ، فَنَقُومُ أَنَا وَمَوْلًى لِي فَنَكْتُبُهَا، فَحَدَّثَنَا يَوْمًا بِأَحَادِيثَ فَقُمْنَا لِنَكْتُبَهَا، فَظَنَّ أَنَّا نَكْتُبُهَا، فَقَالَ: أَتَكْتُبَانِ مَا سَمِعْتُمَا مِنِّي؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَجِيئَانِي بِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَغَسَلَهُ، وَقَالَ: احْفَظُوا عَنَّا كَمَا حَفِظْنَا"[٨].

فإنّ أبا موسى الأشعري كان يحثّ طلابه على حفظ الحديث وأخذه كما كانوا يأخذونه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيمحو من كان يكتب عنه الحديث.

---

١ يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ١٩٩٢م، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت: دار الجيل، ٤: ١٥٣١.

٢ انظر: د.أحمد عبد الجبار صنوبر، (٢٠٢٠م)، مدرسة البصرة الحديثية في النصف الأول من القرن الأول الهجري دراسة في أسباب التأخر العلمي عن مدرسة الكوفة، *مجلة tekirdag teology journal*، المجلد: ٦، عدد: ١، ص: ١٤٩١-١٥٤٤، فقد فصّل الدكتور في بيان مرويّات هؤلاء الصحابة وأثرهم في روايات التابعين عنهم.

٣ عز الدين بن الأثير الشيباني، ١٩٨٩م، أسد الغابة، ط: ١، بيروت: دار الفكر، ٣: ٣٦٤.

٤ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤: ١٧٦٤٣.

٥ المصدر السابق.

٦ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣: ٣٦٤.

٧ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (د.ت)، تقييد العلم، (د.ط)، بيروت: إحياء السنة النبوية، ص: ٤٠. بإسناد صحيح.

٨ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٤٠ ، إسناده حسن، ففيه سهل بن أسلم وهو صدوق، " انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٩٨٦م، تقريب التهذيب، ط: ١، سوريا: دار الرشيد، ص: ٢٥٧.

وأمّا أنس بن مالك فهو على خلاف ذلك، إذ كان يحثّ أبنائه وطلابه على كتابة الحديث، فعن ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، أَنَّ أَنَسًا، كَانَ يَقُولُ لَهُمْ: "يَا بَنِيَّ قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ"[١].

وقد كان إذا سمع حديثاً من النبي صلى الله عليه وسلم ورأى الحاجة إلى كتابته أو أعجبه الحديث أمر ابنه بكتابته له، ومثال ذلك ما رواه عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ حيث قَالَ: « أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، أَنِّي قَدْ أَصَابَنِي فِي بَصَرِي وَأُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّي فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى دَخَلَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ وَيَذْكُرُونَ مَا يَلْقُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ..... »الحديث، فقَالَ أَنَسٌ: فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثُ فَقُلْتُ لِابْنِي: اكْتُبْهُ"[٢].

وقد كان يأمر ابناه النضر وموسى أن يكتبا الحديث والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لهم:" كُنَّا لَا نَعُدُّ عِلْمَ مَنْ لَمْ يَكْتُبْ عِلْمَهُ عِلْمًا"[٣].

يظهر لنا بوضوح رأي أنس بن مالك في كتابة الحديث وحثّه على ذلك، وأنّه بخلاف غيره من الصحابة الكبار كأبي موسى الأشعري، ولكن هل أثّر ذلك على تابعي البصرة؟ وهل كان لرأي أبي موسى الأشعري أثر رغم قلّة رواياته في البصرة؟ أم كان الأثر لأنس بن مالك فحسب؟ وهل يمكن أن يكون هناك آراء مستقلة للتابعين حول قضية الكتابة لا علاقة لها بآراء صحابتهم؟ وهذا ما سيتمّ دراسته وبيانه في المباحث الآتية.

المبحث الأول: مظاهر الكتابة عند تابعي البصرة:

في هذا المبحث نحاول إعطاء صورة واضحة عن حال الكتابة عند تابعي البصرة مع تفصيل ذلك في جميع طبقاتهم.

المطلب الأول: الكتابة عند كبار تابعي البصرة:

من خلال البحث والدراسة في طبقة كبار التابعين في مدينة البصرة لوحظ أنّ هناك ضعف واضح في النشاط العلمي بشكل عام في تلك الطبقة، حتى وقفت على دراسة للدكتور أحمد صنوبر يتحدّث فيها عن التأخر العلمي وأسبابه في مدينة البصرة في النصف الأول من القرن الأول _الفترة التي هي محلّ الدراسة في هذا المطلب_، فقد أثبتت دراسته أنّ الرواية والنشاط العلمي في تلك الفترة لم

١ المصدر السابق، ص:٩٦. بأسانيد حسان حيث يرويها عبدالله بن المثنى وهو صدوق كثير الغلط "انظر: تقريب التهذيب، ص: ٣٢٠.

٢ مسلم بن الحجاج النيسابوري، (د.ت)، المسند الصحيح، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، ح: ٣.

٣ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٩٦. بإسناد حسن حيث يرويه عبدالله بن المثنى وهو صدوق كثير الغلط "انظر: تقريب التهذيب، ص: ٣٢٠.

يكن قويّاً مقارنة بمدينة الكوفة، رغم نزول عدد من الصحابة إلى مدينة البصرة إلا أنّه لم يكن لهم التأثير العالي في رواية الحديث، وقد فصّل الدكتور في أسباب ذلك مع بيان الدلائل، وأُجمِل هنا الأسباب التي ذكرها في بحثه[١]:

١– أسباب عسكرية، حيث كانت مدينة البصرة قاعدة للفتوحات فلم يكن الأساس عند الصحابة الذين نزلوا البصرة رواية الحديث، وإنما كانت لأجل بعض الفتوحات، ومثالها أبو موسى الأشعري فافتتح عدداً من المدن خلال ولايته على البصرة كالأهواز وأصبهان[٢].

٢– الصحابة الذين نزلوا البصرة لم يكن لهم نشاطاً علميّاً قويّاً، كأمثال عمران بن حصين وأبو بكرة فإنّهما لم يكونا على قدر أبي موسى الأشعري وابن مسعود في العلم والفقه، وكانوا في طبيعتهم قليلي الرواية.

٣– طبيعة التابعين في مدينة البصرة، حيث لم يكن عندهم النشاط العلمي الموجود في كل من المدينة والكوفة، ويعود ذلك أيضاً إلى طبيعة قبائلهم مقارنة بقبائل الكوفة.

٤–كثرة الفتن والاضطرابات في تلك الفترة ممّا أشغل الصحابة عن الرواية .

يلحظ من تلك الأسباب أنّ طبيعة شخصيّات الصحابة والتابعين في تلك الفترة لها دور في عدم وجود ذاك النشاط العلمي في رواية الحديث، وكذلك الفتن والاضطرابات، فضلاً عن الفتوحات التي أشغلت الصحابة عن الرواية ونشر الأحاديث.

لذلك فإنّنا من الطبيعي جدّاً أن لا نجد أي نشاط كتابي في تلك الفترة أيضاً،لأنّ الرواية ذاتها كانت ضعيفة النشاط، ومع ذلك فقد وقفت على موقفين مختلفين لكبار التابعين في البصرة له علاقة في كتابة الحديث:

أ. أبو العالية الرياحي ت٩٠هـ حين طلب منه بكر بن عبد الله المزني البصري ت ١٠٦هـ أن يكتب له حديثاً، فقال له أبو العالية: " لَوْ كُنْتُ أَكْتُبُ لِأَحَدٍ لَكَتَبْتُهُ لَكَ، فَحَدَّثَهُ حَتَّى حَفِظَهُ " [٣].

ب. أبو المَلِيح البصري ت٩٨هـ حيث قال: "يَعِيبُونَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾[٤].

هذه أقدم المواقف التي استطعت الوقوف عليها عند كبار تابعي البصرة، ولم أجد غيرها لقلّة النشاط في تلك الفترة كما بيّنا ذلك آنفاً.

---

١ انظر: د. أحمد صنوبر، مدرسة البصرة الحديثية في النصف الأول من القرن الأول الهجري دراسة في أسباب التأخر العلمي عن مدرسة الكوفة، وقد فصّل الدكتور وأظهر قلّة الرواية وعلاقة الصحابة بالتابعين ومدى الرواية عنهم في تلك الفترة، ثمّ فصّل في بيان أسباب هذا التأخر العلمي، وما أذكره في البحث هو مختصر جدّاً، ويمكن الرجوع إلى البحث الأصلي في ذلك.

٢ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣: ٣٦٤.

٣ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٤٧. بإسناد صحيح.

٤ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ٢٠٠٠م، المسند، ط: ١، السعودية: دار المغني، رقم الحديث: ٥٠٦.بإسناد صحيح.

والملاحظ من هذين الموقفين الاختلاف بين أبي العالية وأبو المليح في فكرة الكتابة، فإنّ أبا العالية لم يكن يكتب، وحين طُلب منه الكتابة حدّث من حفظه حتى حفظ السائل ما حدّثه به، وأمّا أبو المليح فالواضح من كلامه أنّ النقاش حول كتابة الحديث كان موجوداً في تلك الفترة، وأنّ هناك من يعيب الكتابة في تلك الفترة، وهو ممّن يقبلها.

ممّا يعني أنّ فترة كبار تابعي البصرة على قلّة نشاطها العلمي والحديثي إلّا أنّ موضوع الكتابة كان موضوعاً محلّ النقاش، فمنهم من لا يرى بأساً في ذلك كأبي المليح، ومنهم من كان لا يرغب بالكتابة كأبي العالية، ورغم أنّ هذا غير كافي لإعطاء صورة واضحة عن حال النشاط الكتابي في تلك الفترة، إلّا أنّه يشير إلى وجود نقاش بين التابعين، وأنّ فكرة الكتابة لم تكن بذاك القبول عند كبار التابعين.

بالتالي يمكن القول أنّه لا يوجد نشاط عالي لكتابة الحديث عند كبار تابعي البصرة، بل كتابة الحديث قد لا تكاد تذكر في تلك الفترة.

المطلب الثاني: الكتابة عند أواسط تابعي البصرة:

يختلف الأمر في طبقة أواسط التابعين عمّا هو الحال في طبقة الكبار، حيث لوحظ أنّ نشاط كتابة الحديث في هذه الفترة أكثر ممّا كانت عليه في فترة كبار التابعين، ولعلّ هذا يعود إلى بداية تأثير أنس بن مالك في هذه الطبقة، فتأثير أنس بن مالك في الرواية كما بيّنا سابقاً تأخّر إلى طبقة أواسط التابعين، غير أنّ التابعين في هذه الفترة لم يتّفقوا جميعاً على كتابة الحديث؛ وإليك بيان هذا الاختلاف:

أ. من اعتمد على كتابة الحديث:

من الشخصيّات البارزة في هذه الفترة التي كانت تعتمد على الكتاب التابعي الكبير أبو قِلابة البصري ١٠٤هـ، حيث كان يقول: " الكتاب أحبّ إليّ من النسيان"[١]، فقد صرّح أبو قلابة في تفضيله للكتابة على الحفظ، ولا ير ى في ذلك بأساً، وقد كانت له كتباً كثيرة، يقول مالك بن أنس: " مات ابن المسيّب والقاسم ولم يتركوا كتباً، ومات أبو قلابة فبلغني أنه ترك حمل بغل كتباً " [٢]، وقد دُفعت هذه الكتب إلى أيّوب بوصاية من أبي قلابة وقد وُصِفت تلك الكتب بأنّها عدل راحلة، يقول حمّاد بن زيد: " قال مات أبو قلابة بالشام فأوصى بكتبه لأيّوب فأرسل أيوب فجئ به عدل راحلة، قال أيوب: فلمّا جاءني قلت لمحمد _ أي ابن سيرين_: جاءني كتب أبي قلابة فأحدّث منها؟ قال: نعم، ثمّ قال: لا آمرك ولا أنهاك"[٣].

---

١ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، ١٤٠٩هـ، المصنف، ط: ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ، كتاب الأدب من رخّص في كتاب العلم، رقم الحديث: ٢٦٤٥٣، إسناد صحيح.

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ٢٠٠٣م، تاريخ الإسلام، ط: ١، دار الغرب الإسلامي، ٣ :١٩٣.

٣ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، ١٩٩٥م، تاريخ دمشق، ط: ١، بيروت: دار الفكر، ٢٨: ٣١٠، بإسناد صحيح.

من الواضح أنّ أبا قلابة كانت له كتب كثيرة يعتمد عليها، وحين وفاته أوصى بدفعها إلى أيّوب فقد يكون أيّوب من أوثق التلاميذ الذين يثق بهم أبو قلابة فأمر بتلك الكتب لأيّوب خاصّة، حرصاً منه على عدم تناقل الكتب بين أيدي لا يُعلم حالهم، ففي إحدى الروايات يقول أبو قلابة: " ادفعوا كتبي إلى أيّوب إن كان حيّاً وإلا فأحرقوها" [١]، ممّا يعني شدّة ثقته بأيّوب خاصّة.

وأمّا سؤال أيّوب لابن سيرين بأن يحدّث من كتب أبي قلابة ففيه إشارة واضحة من أنّ التحديث مباشرة من الكتاب دون السماع من الشيخ كانت واردة في تلك الفترة المبكّرة عند تابعي البصرة، وكذلك حال قتادة بن دعامة ت١١٧هـ من روايته عن أبي قلابة، فهو لم يسمع منه شيئاً وإنّما وقعت له كتبه[٢]، وهذا كلّه يشير إلى أنّ الاعتماد على الكتاب في الرواية أو التحديث كانت موجودة في فترة مبكرة بالبصرة وهي فترة أواسط التابعين.

وأمّا موقف ابن سيرين من جوابه أوّلا بالموافقة ثمّ قوله: " لا آمرك ولا أنهاك"؛ فذلك لأنّ ابن سيرين له موقف مختلف من الكتابة سنبيّن ذلك لاحقاً.

وممّن اعتمد على الكتاب في هذه الفترة أيضا التابعي الكبير المشهور الحسن البصري١١٠هـ، فقد كان يعتمد على الكتاب في الرواية أو التحديث ولا يجد في ذلك إشكالاً، يقول السَّريّ بن يحيى عن الحسن: «أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِكِتَابِ الْعِلْمِ بَأْسًا، وَقَدْ كَانَ أَمْلَى التَّفْسِيرَ فَكُتِبَ»[٣]، وقد كان بيّن سبب اعتماده على الكتابة حيث قال:"إنما نكتبه لنتعاهده يعني الحديث"[٤]، وكأنّه بذلك يريد الاعتماد على الكتاب في حفظ الحديث ومذاكرته والرجوع إليه عند الاختلاف، بل كان يعتمد على الكتاب بدلاً من السماع من الشيخ، فقد روى أحاديث سَمُرة بن جندب ولم يسمع منه بل كان لديه كتاب، يقول يحيى القطان: " أحاديثه عن سمرة سمعنا أنها كتاب"[٥].

ويمكن لنا ملاحظة بعد الأمور من حال الحسن البصري مع الكتابة، أوّلها أنّ فكرة الإملاء والعرض كانت موجودة في هذه الفترة عند تابعي البصرة وهو بخلاف حال تابعي الكوفة حيث تأخرت لزمن صغار التابعين _وسيذكر ذلك في بحث آخر إن شاء الله_، وثانيها: أنّ كتابة الحسن لم تكن لأطراف الحديث ولم يرد بأنّه كان يكتب ويمحو الحديث بعد ذلك، ويؤكّد ذلك قوله " نكتبه لنتعاهده" فلا يفهم منه إلا كتابة الحديث كاملاً لا أطرافاً منه.

---

١ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٦٢. بإسناد صحيح.

٢ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٨: ٣١٠.

٣ انظر: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ١٩٩٤م، جامع بيان العلم وفضله، ط: ١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١: ٣٢٣، .بإسناد صحيح.

٤ المصدر السابق، ص: ١٠١. بإسناد صحيح.

٥ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤ :٥٦٧.

وأمّا سليمان اليشكري (٧٠هـ) فقد جالس جابر بن عبدالله وكتب عنه صحيفته[١]، وبشير بن نهيك البصري(١٠٠هـ) أيضاً كتب عن أبي هريرة يقول في ذلك: "كُنْتُ أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُفَارِقَهُ، أَتَيْتُهُ بِكِتَابِهِ فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: هَذَا سَمِعْتُ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ" [٢]وهذا كله كان خارج البصرة وعن صحابة المدينة لا البصرة.

وفي هذه الطبقة لم نقف على غيرهم من أواسط التابعين ممّن اعتمد على الكتاب، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها عند غيرهم، فقد تكون موجودة ولكن لم يُذكر ذلك في تراجمهم، وما ذُكر في أبي قلابة والحسن ذلك لشهرتهما وكثرة روايتهما، لذلك يمكن أن يكونا مثالين مهمّين وجيديّن لهذه الطبقة .

ب. من لم يعتمد على كتابة الحديث ولم يرغب بذلك.

كما أنّنا ذكرنا في ما سبق اثنين من التابعين اعتمدوا على الكتابة في هذه الطبقة، فإنّنا هنا نذكر مثالاً واحداً لتابعي لم يعتمد على الكتابة، إلّا أنّه من الشخصيات المهمّة في هذه الطبقة، وهو محمد بن سيرين ت١١٠هـ، فلو دقّقنا النظر إلى أقوال ابن سيرين نجده لا يرغب بالاعتماد على الكتاب، إلّا أنّه لا ينكرها، فيمكن كتابة الحديث للاستعانة على الحفظ ثمّ محوه، أو كتابة أطراف من الحديث لا أكثر، فقد كان يقول ابن سيرين: "كنت ألقى عبيدة بالأطراف فأسأله "[٣]، ويقول يحيى بن عتيق: " أنّ محمد بن سيرين كان لا يرى بأساً أن يُكتَب الحديث فإذا حفظه محاه"[٤].

فقد كان يكتب ابن سيرين الأطراف ولا يرى بأساً بالكتابة ثمّ محو الحديث من باب الاستعانة على الحفظ دون الاتّكال على الكتاب، فقد كان يكره الاتّكال على الكتاب وينهى عن ذلك، ينقل بكّار بن محمد عن ابن عون أنّ ابن سيرين كان يقول: " إِيَّاكُمْ وَالْكُتُبَ فَإِنَّمَا تَاهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. أَوْ قَالَ: ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْكُتُبِ. قَالَ بَكَّارٌ بن محمد: وَلَمْ يَكُنْ لِجَدِّي وَلا لأَبِي وَلا لابْنِ عَوْنٍ كِتَابٌ فِيهِ تَمَامُ حَدِيثٍ وَاحِدٍ"[٥].

وفي هذا النصّ تعليل كراهية ابن سيرين لكتابة الحديث وهو الخوف من الاتّكال على الكتاب وترك الحفظ، وفي كلام بكّار دليل أيضاً على عدم النهي التامّ من ابن سيرين للكتابة، فقد بيّن بكّار أنّه لا يوجد كتاب فيه تمام حديث واحد، أي أنّ الكتاب موجود

---

١ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤: ٢١٥.

٢ الدارمي، السنن، المقدمة، باب من رخص كتابة العلم، ح: ٥١١.

٣ ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الأدب، باب من رخص في كتاب العلم، ح: ٢٦٤٣٣، بإسناد صحيح.

٤ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٥٩. بإسناد صحيح.

٥ أبو عبدالله محمد بن سعد الهاشمي، ١٩٦٨م، الطبقات الكبرى، ط: ١، بيروت: دار صادر، ٧: ١٩٤، بإسناد ضعيف، ففيه بكار بن محمد البصري وقد ضعفه العلماء، " انظر: تاريخ الإسلام، ٥: ٥٤٧".

ولكن للأطراف فقط، إلا أنّ هذا النّص يرويه بكّار بن محمد وهو ابن عبدالله البصري وقد ضعّفه العلماء[١]، ولكن كلامه يؤيّد لما أثبتناه من كلام ومواقف لابن سيرين السابقة، ولما قاله الإمام أحمد بن حنبل من أنّ مذهب ابن سيرين وأيّوب وابن عون ألّا يكتبوا[٢].

وهذا موقف يختلف عن موقف الحسن البصري وأبي قلابة؛ لذلك كان يقال إنّ الحسن كان يكتب، وابن سيرين لا يكتب[٣]، ففي ذلك إشارة إلى اختلاف طبيعة الكتابة بين الحسن وابن سيرين، وفيه دليل على أنّ الحسن البصري كان يعتمد على الكتاب في الرواية وكذلك أبي قلابة.

ويمكن أن نرجع سبب هذا الاختلاف إلى شيوخ ابن سيرين، فإنّ ابن سيرين كان يرحل للكوفة يسألهم عن الحديث، وقد سأل مرّة شيخه عبيد السلماني ت٦٢هـ : أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَإِنْ وَجَدْتُ كِتَابًا أَقْرَؤُهُ ؟ قَالَ: لَا" [٤].

وكان من شيوخه في الكوفة أيضاً علقمة بن قيس ت٦٣هـ، ومذهبه في الكتابة كمذهب عبيدة، فحين طلب مَسْرُوق الأجدع ت٦٢هـ من علقمة أن يكتب له، أجابه علقمة: "أما علمت أَن الْكتاب يكره؟ قَالَ: بلَى، إِنَّمَا أحفظها ثمَّ أمزقه، قال: فلا بأس"[٥].

فهؤلاء شيوخ ابن سيرين الذي كان يروي عنهم لا يرغبون الاتكال على الكتاب، ولكنّهم لا يمنعون من كتابة الأطراف، وموقف ابن سيرين يماثلهم، ممّا يشير إلى تأثّر ابن سيرين بهؤلاء الشيوخ، ورغم أنّه بصري وروى عن أنس بن مالك الذي كان يحثّهم على الكتابة ولا يرى في ذلك بأساً، إلّا أنّ أثر شيوخه الكوفيّين كان أقوى على ابن سيرين ولعلّ ذلك يرجع لقدم الرواية عنهم، فإنّ عبيدة وعلقمة كانا من شيوخه المتقدّمين، بخلاف أنس فقد كان متأخّراً في الرواية والتأثير في التابعين لصغر سنّه.

وأمّا الحسن البصري وأبي قلابة فلم تكن لهما رواية عن هؤلاء الشيوخ وأكثر رواتهما من البصرة والمدينة[٦]، بالإضافة إلى أهل الشام بالنسبة لأبي قلابة[٧]، لذلك نراهما يكتبون الحديث بلا إشكال عندهم.

المطلب الثالث: الكتابة عند صغار تابعي البصرة:

نجد في طبقة صغار التابعين أنّ نشاط الكتابة ازداد عمّن قبله من طبقات التابعين، إلّا أنّ الاختلاف حول الكتابة ما زال قائماً حتى في هذه الفترة، والتفصيل في ذلك كالآتي:

---

١ انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥: ٥٤٧.

٢ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ٢٠٠١م، العلل ومعرفة الرجال رواية المروذي، ط: ٢، الرياض: دار الخاني، ص: ٧١.

٣ الدارمي، المسند، ح: ٤٨٤.بإسناد صحيح.

٤ المصدر السابق، ح: ٤٨٧. بإسناد صحيح.

٥ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٥٨، بإسناد صحيح.

٦ انظر كل من حدّث عنهم البصري في ترجمته عند: يوسف بن عبد الله المزي، ١٩٨٠م، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٦ : ٩٦.

٧ المصدر السابق، ١٤: ٥٤٢.

أ. من كان لا يرى بأساً بكتابة الحديث:

من صغار التابعين في البصرة الذين ورد عنهم قبولهم لفكرة الكتابة التابعي المشهور حميد الطويل ت١٤٢هـ الذي أخذ كتب الحسن ونسخها ثمّ ردّها عليه[١]، وكذلك التابعي سليمان التيمي ت١٤٣هـ الذي كان يحثّ على الكتابة، كما أمر بذلك ابنه المعتمر، حيث يقول: "كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي وَأَنَا بِالْكُوفَةِ " أَنِ اشْتَرِ الْكُتُبَ، وَاكْتُبِ الْعِلْمَ، فَإِنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ وَالْعِلْمُ يَبْقَى"[٢].

وكذلك عمران القصير ت١٥١هـ، فقد كان يكتب في مجالس شيوخه، يقول يحيى واصفاً حاله:" رُبَّمَا رَأَيْتُ عِمْرَانَ الْقَصِيرَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ قَدْ جَثَا يَكْتُبُ فِي الْأَلْوَاحِ"[٣].

وأخيراً شعبة بن الحجاج ت١٦٠هـ حيث روى حديثاً ثمّ قال: "هَذَا وَجَدْتُهُ مَكْتُوبًا عِنْدِي فِي الصَّحِيفَةِ"[٤]، وكان يقول أيضاً: "إِذَا رَأَيْتُمُونِي أَتُحُّ الْحَدِيثَ فَاعْلَمُوا أَنِّي تَحَفَّظْتُهُ مِنْ كِتَابٍ"[٥].

وأمّا قتادة بن دعامة ت ١١٧هـ، فالأمر فيه اختلاف، حيث رُوِيَ عنه الكتابة وكراهيتها، فمن ذلك أنّه سُئل عن الكتابة فقيل له:"أَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَالَ: " وَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَكْتُبَ وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُ يَكْتُبُ: قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى،[طه: ٥٢] "[٦]، وهذه الرواية لم يروها عن قتادة إلا أبو هلال الراسبي وقد ضعّفه العلماء خاصة في قتادة يقول أحمد بن حنبل: "قد احتمل حديثه إلا أنه يخالف في حديث قتادة وهو مضطرب الحديث عن قتادة" وأمّا ما رُوِيَ عنه في كراهية الكتابة: " أن قتادة كان يكره الكتابة، فإذا سمع وَقْع الكتاب أنكره والتمسه بيده"[٧] فيرويها محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي وقد ضعّفه العلماء وكان كثير الخطأ[٨].

ومن خلال تلك الروايتين لا يمكن لنا الجزم بموقف قتادة من الكتابة، ولكن هناك نصّ يرويه عبد الرحمن بن يونس عن ابن عيينة: "كان قتادة يقص بصحيفة جابر، وكان كتبها عن سليمان اليشكري"[٩]. وهذه الرواية ترجّح قبول قتادة للكتابة وعدم كراهيته لها والله أعلم.

---

١ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧: ٢٥٣.

٢ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ١١٢. بإسناد صحيح.

٣ المصدر السابق، ص: ١١٣. بإسناد صحيح.

٤ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١: ٣٢٥، بإسناد صحيح.

٥ المصدر السابق، بإسناد صحيح.

٦ علي بن عبيد بن الجعد البغدادي، ١٩٩٠م، المسند، ط: ١، بيروت: مؤسسة نادر، ح: ١٠٤٣. وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٧: ٢٧٣.

٧ الدارمي، المسند، ح: ٤٦٨.

٨ انظر ترجمته: المزي، تهذيب الكمال، ٢٦: ٣٣٢.

٩ المزي، تهذيب الكمال، ٢٥: ٨٠٥.

فالملاحظ أنّ هناك نشاطاً كتابيّاً في هذه الفترة عند تابعي البصرة مقارنة بحال كبارهم وأواسطهم.

ب. من كان يكتب ثم يمحو الحديث:

نجد عند صغار تابعي البصرة من كان يكتب الحديث إلّا أنّه يمحوه بعد حفظه وذلك للإعانة على حفظ الحديث فإذا حفظه محاه لئلّا يتّكل على الكتاب، وهذا بخلاف بعض التابعين الذين اعتمدوا على الكتب ولم يكن عندهم أيّ إشكال في رواية الحديث من الكتاب والاتّكال عليه ما دام هذا الكتاب صحيحاً.

ومن أمثلة من كان يكتب ثمّ يمحو، خالد الحذّاء ت١٤١هـ فإنّه يصف نفسه بقوله: "مَا كَتَبْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا حَدِيثًا طَوِيلًا، فَإِذَا حَفِظْتُهُ مَحَوْتُهُ "[١]، فمن الواضح أنّ مذهب الحذّاء عدم الكتابة إلّا إن وجد حديثاً طويلاً فإنّه كان يكتبه لإعانته على الحفظ، فإذا أتمّ حفظه محاه.

وكذلك هشام بن حسّان العتكي ت١٤٦هـ فإنّه كان لا يكتب إلا أحاديث قليلة فإذا حفظها محاها، يقول: " مَا كَتَبْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَدِيثَ الْأَعْمَاقِ ، فَلَمَّا حَفِظْتُهُ مَحَوْتُهُ "[٢].

ج. من كان يمتنع عن كتابة الحديث من صغار تابعي البصرة :

ورغم وجود من كان يكتب الحديث في هذه الفترة إلّا أنّ الخلاف ما زال قائماً في هذه الفترة، وهناك من كان يمتنع من صغار تابعي البصرة عن الكتابة، كأيّوب السختياني ت١٣١هـ فقد كان مذهبه كمذهب ابن سيرين بعدم كتابة الحديث، يقول عبد الوارث التنوي عن أَيُّوب: "أَنه كَانَ إِذا قدم الْبَصْرَة يَقُول خذوها رطبَة قبل أَن تَتَغَيَّر وَلم يكن يكْتب وَلَا يكْتب"[٣].

وكذلك حال عبد الله بن عون ت١٥٠هـ كان يذمّ الكتب فيقول فيها: " أَحْسِبُ أَوْ أَرَى يَكُونُ لِهَذِهِ الْكُتُبِ غِبٌّ سُوءٍ "[٤].

فإنّ ابن عون يبيّن لنا سبب امتناعه عن الكتابة، وكأنّ الكتابة في رأي ابن عون ستكون سبباً في ضعف الرواة في حفظ الأحاديث، أو في دخول الخطأ والتحريف في تلك الكتب بذلك تضلّ الناس وتكون غبء سوء عليهم .

يفهم ممّا سبق أنّ حال صغار تابعي البصرة كحال كبار ها وأواسطها في اختلاف آرائهم حول فكرة الكتابة، وأنّ قبول فكرة الكتابة بشكل كامل ونشاطها في مدينة البصرة دون أي معارض لم يكن في فترة التابعين على اختلاف طبقاتهم إلّا أنّ نشاط الكتابة كان أكثر ما يكون في فترة صغار التابعين ولعلّ أسباب هذا يعود لأثر أنس بن مالك أوّلاً من حيث الرواية ومن حيث حثّه على الكتابة

---

١ ابن الجعد، المسند، ح: ١٢٦٥. بإسناد صحيح.

٢ الدارمي، المسند، ح: ٤٧٤. بإسناد صحيح.

٣ أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي، (د.ت)، من كلام أبي زكريا يحيى بن معين، (د.ط)، دمشق: دار المأمون، ص: ٨٠. بإسناد صحيح.

٤ الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص: ٥٧. بإسناد صحيح.

وقد بيّنا أنّ هذا الأثر بدأ عند أواسط التابعين فمن الطبيعي أن يزداد عند صغار التابعين، كما أنّ طول الإسناد وكثرة الرواة في فترة صغار التابعين يستدعي نشاطاً في كتابة الحديث، فطبيعة الرواية في تلك الفترة وانتشارها يعتبر سبباً من أسباب نشاط الكتابة فيها.

المبحث الثاني: اختلاف التابعين في كتابة الحديث، وأثر الكتابة على ضبط الرواية:

المطلب الأول: أسباب اختلاف تابعي البصرة حول كتابة الحديث:

من خلال النظر في أحوال الصحابة والتابعين في مدينة البصرة، ومعرفة آراء الصحابة وكذا تصريحات وتصرّفات بعض التابعين في مسألة الكتابة، يمكن لنا الوصول إلى بعض الأسباب التي نحاول من خلالها فهم هذا الاختلاف الحاصل بين تابعي البصرة:

السبب الأوّل: أنّ أساس الاختلاف كان بين الصحابة، فأبو موسى الأشعري كان لا يقبل الكتابة، وأمّا أنس بن مالك فإنّه كان يحثّ على الكتابة، ولعلّ هذا الاختلاف انتقل بشكل تلقائي إلى طبقة التابعين، فيحتمل أن يكون منهم من أخذ برأي أبي موسى، ومنهم من أخذ برأي أنس.

السبب الثاني: تأثّر بعضهم في شيوخهم ممّن كان لا يرى الكتابة وتأثيره في ما بعد على طلّابه، كابن سيرين الذي كان يروي عن كبار تابعي الكوفة وهم ممّن لا يكتبون ولا يأمرون بالكتابة، فكان تأثّر ابن سيرين بهذه الطبقة أكثر من تأثّره بأنس بن مالك، ولعلّ ذلك يعود لصغر سنّه، وقدم وفاة من أخذ عنهم بالكوفة، ثمّ يأتي دور طلابه المكثرين عن ابن سيرين كأيّوب وابن عون فقد كانا على منهج ابن سيرين بعدم الكتابة، وهما من أكثر الرواة عن ابن سيرين، حيث روى عنه أيوب أكثر من٤٠٠ رواية، وابن عون أكثر من ٦٠٠ رواية، بينما كانت روايتهما عن الحسن وهو ممّن يرى الكتابة أقلّ من ذلك فلم تتجاوز روايات أيوب عن الحسن ٢٦ رواية، وابن عون عن الحسن ٣٤ رواية؛ لذلك نرى تأثّرهم برأي ابن سيرين أكثر من رأي الحسن لكثرة ملازمته والرواية عنه، كما أنّنا إذا نظرنا إلى روايات قتادة _الذي قد يُرجّح قبوله الكتابة_ عن ابن سيرين فهي لم تتجاوز ٢٥ رواية، ورواياته عن الحسن أكثر بكثير من ذلك، فتأثّر أيوب وابن عون بابن سيرين لكثرة ملازمتهما له، وتأثّر قتادة بالحسن للسبب ذاته، فكان هذان لا يكتبان، وأمّا قتادة فكان يكتب.

فضلاً عن أنّ ابن عون له روايات أيضاً عن شيخه الكوفي إبراهيم النخعي، ومذهبه أيضاً عدم الكتابة، يقول إبراهيم: "مَا كَتَبْتُ شَيْئًا قَطُّ"[١] ونقل عنه منصور أنّه كان يكره الكتاب[٢].

وكلّ هذا بخلاف حال أبي قلابة والحسن البصري وقتادة وغيرهم ممّن كانوا يكتبون، فلم يكن لهم روايات عن شيوخ الكوفة كما كان لابن سيرين وابن عون، وأكثر رواياتهم كانت في البصرة والمدينة أو في الشام كما هي عند أبي قلابة.

١ الدارمي، المسند، ح: ٤٧٦. بإسناد صحيح.

٢ المصدر السابق، ح: ٤٧٠. بإسناد صحيح.

السبب الثالث: أنّ هذا الاختلاف يعود لآرائهم الشخصية، فلم يكن أثر اختلاف الصحابة وكذلك أثر شيوخهم عليهم هو السبب الأساس لاختلافهم في ذلك، بل يعود ذلك أيضاً لآرائهم الشخصية حول الكتابة، وهذه الآراء اختلفت بسبب اختلافهم أساساً في قدراتهم وقوّتهم على الحفظ دون الكتاب أو عكس ذلك.

فمثلاً من كان يكتب ولا يرى في ذلك بأساً كان لا يرى أنّ الكتابة ستكون سبباً في ضعف الذاكرة والقدرة على حفظ الأحاديث وأنّهم سيتّكلون عليها، بل اعتبروها وسيلة قويّة على حفظ الأحاديث دون أن تكون سبباً في الاتّكال عليها، وهذا واضح من تصريحات بعض التابعين، كقول أبي قلابة: " الكتاب أحبّ إليّ من النسيان".

فاعتبر الكتابة وسيلة على حفظ ما قد يخشى نسيانه، والحسن البصري اعتبر الكتابة وسيلة للمذاكرة، حيث يقول: نكتب لنتعاهد الحديث "، فهؤلاء التابعون جيمعهم وهم أحفظ وأوثق أهل البصرة، لا يزعم أحد أنّهم اعتمدوا على كتبهم في الرواية، وأنّ ضياع الكتاب سيكون ضياعاً لمرويّاتهم، بل على خلاف ذلك نجدهم حفّاظاً متقنين بل كان يقول أنس بن مالك عن الحسن البصري: "سلوا الحسن فإنّه حفظ ونسينا "[١]، ومع ذلك كانت لهم كتاباتهم دون الاتّكال عليها بل اعتبروها وسيلة موازية للحفظ في الصدور ومعاونة لها على حفظ مرويّاتهم.

أمّا ابن سيرين وابن عون وغيرهما ممّن كان لا يكتب، أو يكتب الحديث ثم يمحوه، فإنّ ذلك منهم كان خشية الاتّكال على الكتاب بشكل كامل فيضلّ الناس بذلك، حيث يقول ابن سيرين معلّلاً عدم رغبته بالكتابة: " إِيَّاكُمْ وَالْكُتُبَ فَإِنَّمَا تَاهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. أَوْ قَالَ: ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْكُتُبِ".

وكذا رأي ابن عون واعتباره الكتابة غبء سوء على الناس، ففي رأيهم أنّ الكتابة يعني الاتّكال عليه وضعف الذاكرة في ما بعد، ممّا يعني ضلال الناس، فالكتاب وحده لا يكفي في حفظ الحديث، لما يعتريه من أسباب الضياع والحرق وإدخال ما ليس فيه.

وإذا ما قارننا بين تلاميذ أنس بن مالك الذي كان يحثّهم على الكتابة، نجد أنّهم اختلفوا حول هذا الأمر، كما أسلفنا بيان حال الحسن البصري وابن سيرين، وكذلك مثلاً حال ثابت البناني الذي لم يثبت في ترجمته أي إشارة إلى كتابته للحديث، بينما حميد الطويل ورد عنه أنّ لديه صحيفة عن أنس بن مالك[٢]، وهذا الاختلاف بين تلاميذ الشيخ الواحد يؤكّد أنّ الأمر يعود لآرائهم الشخصية في ذلك، وأنّ أثر الشيوخ عليهم وإن كان موجوداً إلّا أنّ الأمر في أساسه يعود لشخصيات هؤلاء التابعين.

وأدّعي أنّ هذا الاختلاف هو اختلاف طبيعي لا إشكال فيه، بل عدم وجود مثل هذا الاختلاف هو الإشكال، لأنّ موضوع الكتابة تعود في أساسها إلى قدرات الرواة، وقدراتهم البشريّة متفاوتة، فمنهم من عنده القدرة على الحفظ والكتابة مع إتقان كليهما وعدم

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ١٩٨٥م، سير أعلام النبلاء، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٤: ٥٧٣، .بإسناد حسن فيرويه أبو هلال الراسبي وهو صدوق فيه لين " انظر: تقريب التهذيب، ص: ٤٨١".

٢ انظر: خير الدين بن محمود الزركلي، ٢٠٠٢م، الأعلام، ط: ١، دار العلم للملايين، ٢: ٢٨٣.

الاتّكال على أحدهما، ومنهم من قد تضعف ذاكرته بسبب الكتابة ويتمّ الاتّكال على الكتاب، لذلك يفضّل عدم الكتابة، فالأمر على التفاوت بينهم، لذلك أيضاً لا نرى أحداً ممّن كان يكره الكتابة، يُنكر على من كان يكتب.

المطلب الثاني: أثر كتابة الحديث على ضبط الرواية:

بناء على ما تقدّم من دراسة لمظاهر الكتابة في جميع طبقات تابعي البصرة، نجد أنّ مسألة الكتابة ليست محسومة ولا مسلّم بها في الرواية الحديثية، بل هناك مناقشات واضحة حول المسألة، وقد وجدنا ذلك حتى في أواخر عصر التابعين، وهذا كله يشير إلى أنّ الرواية الكتابية لم تكن الأكثر انتشاراً في زمن التابعين، بل غالب التابعين حتى من كان يكتب لم يثبت عنه اعتماده الكامل على الكتاب، فجُلّ من كتب من تابعي البصرة كانوا من الحفاظ الأثبات رؤوس العلم والرواية عند أهل البصرة، فلا يمكن القول أنّ حسن البصري مثلاً قد تناقل الرواية كتابيّاً وكذلك الحال في أبي قلابة وقتادة وغيرهم، وعليه يمكن القول أنّ الكتابة كانت موجودة في زمن التابعين ومن قبلهم، ولكن لم تكن بتلك القوّة والاعتماد .

كما أنّنا يمكن أن نلحظ أمراً هامّا أيضاً متعلق في الترجيح بين الرواية الكتابية والرواية الشفوية بناء على ما سبق من معطيات متعلقة بتابعي أهل البصرة، حيث نلحظ:

أ. أنّ هؤلاء التابعين على اختلافهم في مسألة الكتابة، لم نجد أيّ ترجيح بينهم على أساس الكتابة، فهذا الحسن البصري ومحمد بن سيرين، لم يكن هناك أيّ ترجيح بينهما ولم يقل أحد أنّ الحسن البصري أوثق وأقوى من ابن سيرين لأنّه كان يكتب وابن سيرين لا يكتب، وكذلك مثلاً بين ابن عون وحميد الطويل، وغيرهم من تابعي أهل البصرة، بل إذا نظرنا إلى هؤلاء التابعين جميعاً الذين تمّ ذكرهم في البحث نجدهم من الحفّاظ الأثبات المكثرين في الرواية والمشهورين في التحديث عند أهل البصرة، دون تمييز بين من كتب ولم يكتب، بالتالي فإنّ كتابة الحديث لا يعني بالضرورة أنّ الراوي أضبط وأتقن للرواية.

ب. أنّ محمد بن سيرين وهو صاحب المقولة المشهورة. : "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ " [١]، كان لا يرى الكتابة ولا يأمر بها، فإذا كان هذا ابن سيرين الذي بات ينبّه على كلّ من يُروى عنه حين وقعت الفتنة ويطلب تسمية الرجال، ولا يأخذ عن أيّ أحد، لكان الأولى به التنبيه على كتابة الحديث كذلك، ولكنّه لم يأمر بذلك، بل كان يرى خلاف ذلك، مع أنّ وقوع الفتنة وكثرة الوضع والدسّ في الأحاديث سبباً يستدعي حفظ الأحاديث بطريقة يمنع الوضع والدسّ فيها، ولو كانت الكتابة تحفظ الحديث من هذه الفتن، ولو كانت الكتابة أصحّ وأوثق لأمر بذلك ابن سيرين وكان من مذهبه الكتابة، ولكن ما رأيناه كان خلاف ذلك تماماً، ممّا يعني أن لا علاقة بين قوّة الرواية وصحّتها وبين كتابتها. وعليه أدّعي بإنّه لا حاجة لنا في محاولة إثبات انتشار الرواية الكتابية بشكل كبير في زمن مبكّر، بل يمكن لنا التمسّك بفكرة تاريخية الرواية الشفوية للأحاديث النبوية مع قوّتها وضبطها مع عدم نفي الرواية المكتوبة، ولكن وجودها لا يعني البتّة صحّة الرواية.

---

١ مسلم، المسند الصحيح، المقدمة، ص: ١٤. بإسناد صحيح.

النتائج:

بناءً على ما سبق من الدراسة والتحليل لواقع كتابة الحديث ونشاطها عند التابعين في مدينة البصرة، يتبيّن أنّ هناك حاجة ملحّة إلى دراسة كلّ مدينة من المدن الحديثية على حدة، وذلك لبيان خصوصية نشاطها الكتابي ومدى اعتمادها على الكتابة. فالدراسات السابقة التي تناولت نشأة التدوين في عصر الصحابة والتابعين كانت ذات طابع عام، وخلصت إلى وجود كتابة الحديث في مختلف الأمصار والأزمان عموماً، في حين تُظهر هذه الدراسة عند الاقتصار على مدينة البصرة في زمن التابعين أنّ النشاط الكتابي عندهم تأخّر قليلاً وأنّ ظاهرة الكتابة لم تكن سائدة على نحو متفق عليه بين طبقات التابعين، بل كانت محدودة ومتباينة في الموقف والممارسة.

ومن أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة ما يأتي:

١– نشاط الكتابة عند تابعي البصرة لم يكن قويّاً خاصة في طبقة كبار التابعين وذلك للتأخّر العلمي وتأخر الرواية في تلك الفترة لأسباب كثيرة منها: انشغال الصحابة بالفتن والفتوحات الإسلامية، وأمّا عند أواسط التابعين فقد بدأت حركة الكتابة تنشط وذلك مع نشاط رواية التابعين عن أنس بن مالك وأثره فيهم، وازدادت بشكل طبيعي في فترة صغار التابعين للحاجة إلى تلك الكتابة خاصّة مع نشاط الرواية وطول الأسانيد.

٢– طبيعة الكتابة الحديثية عند تابعي البصرة مختلفة في ما بينهم ويعود ذلك لاختلافهم حول مسألة الكتابة أساساً، فنجد أنّ هناك من كان يعتمد على الكتابة في مجالسه وسماعاته ويملي على طلابه، بينما نجد آخرين لا يكتب إلا أطرافاً من الحديث وقد يمحوه بعد كتابته في بعض الأحيان، ونجد من امتنع أساساً عن الكتابة.

٣– الاختلاف حول قضية الكتابة كان موجوداً في جميع طبقات التابعين من كبارها حتى صغارها، ورغم نشاطها في طبقة صغار التابعين إلّا أنّ الاختلاف لم يزل قائماً عندهم.

٤– أسباب الاختلاف بين التابعين حول الكتابة تعود لآرائهم الشخصية بشكل أساسي، حيث منهم من كان يشعر أنّ الكتابة ستكون سبباً في ضعف الذاكرة وقوّة الحفظ وأنّ الكتاب لا يسلم من الزلل لذلك فإنّ الكتابة سبب في ضلال الناس، ومنهم من كان لا يرى بأساً في الكتابة بل يفضّلها على ما قد يخشى نسيانه في الذاكرة، وهناك أسباب أخرى لاختلافهم كتأثّرهم في آراء بعض شيوخهم.

٥– لقد كان هناك تأثير لشيوخ الكوفة على تابعي البصرة ممّن سمع منهم وأخذ عنهم الحديث كابن سيرين وابن عون، حيث سمعا من عبيدة السلماني ومسروق وإبراهيم النخعي وهم ممّن لا يكتبون، فكان مذهبهما مماثل لهم.

٦–لم يكن لآراء الصحابة في مدينة البصرة أثر كبير على آراء التابعين، ودليل ذلك أنّ تلاميذ أنس اختلفوا في قبول مسألة الكتابة، فمنهم من كان يكتب، ومنهم من كان لم يكتب، بل كان لهم آراء مستقلّة كلّ بحسب ما يراه ويترجّح عنده، وأمّا أبو موسى الأشعري فلقلّة روايته في تلك الفترة عند أهل البصرة فلم يكن له ذاك الأثر.

٧- لا يمكن لنا القول بأنّ الرواية الكتابية كانت أوسع وأكثر من الرواية الشفوية في زمن التابعين، والاختلاف الحاصل بينهم خير دليل على ذلك.

٨-لم يكن هناك ما يدلّ على ترجيح التابعين للروايات المكتوبة على الروايات الشفوية، ولم يتمّ الترجيح في ما بينهم بناءً على الكتابة، كما أنّ ابن سيرين الذي شدّد في البحث في أحوال الرجال في تلك الفترة التي كثرت فيها الفتن ونبّه على الإسناد، لم ينبّه على كتابة الحديث، مع أنّ الوضع قد يستدعي التنبيه على ذلك، ممّا يعني أنّ الكتابة لا علاقة لها بقوّة الرواية وصحّتها.

التوصيات:

توصي الدراسة بالبحث حول نشاط المدن الأخرى في كتابة الحديث، ومعرفة مدى قوّة انتشار الكتابة بين المدن الحديثية، وبيان التفاوت فيما بينها وأسباب ذلك.

المصادر والمراجع :

- ابن الأثير، عز الدين الشيباني، أسد الغابة، ط: ١، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٩م.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، العلل ومعرفة الرجال رواية المروذي، ط: ٢، الرياض: دار الخاني، ٢٠٠١م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- ابن الجعد، علي بن عبيد البغدادي، المسند، ط: ١، بيروت: مؤسسة نادر، ١٩٩٠م.
- ابن حجر، علي بن أحمد بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ط: ١، سوريا: دار الرشيد، ١٩٨٦م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي تقييد العلم، (د.ط)، بيروت: إحياء السنة النبوية، (د. ت).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، المسند، ط: ١، السعودية: دار المغني، ٢٠٠٠م.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ط: ١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط: ١، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد البغدادي، الطبقات الكبرى، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد العبسي، المصنف، ط: ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
- صنوبر، د.أحمد عبد الجبار، " مدرسة البصرة الحديثية في النصف الأول من القرن الأول الهجري دراسة في أسباب التأخر العلمي عن مدرسة الكوفة"، مجلة *tekirdag tbeology journal*، ٦:٢، ٢٠٢٠م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط: ١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ط: ١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١٩٩٤م.

- العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله، الثقات، ط: ١، السعودية: مكتبة الدار، ١٩٨٥م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، ط: ١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.
- مسلم، ابن الحجاج النيسابوي، المسند الصحيح، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- المزي، يوسف بن عبد الله، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م.
- ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي، من كلام أبي زكريا يحيى بن معين، (د.ط)، دمشق: دار المأمون، (د. ت).